الفصل الخامس

الأسرة.. ومضار الضرب في التنشئة النفسية للأبناء

- المقدمة.

١) عوامل نفسية تشكل اتجاهات الآباء نحو الأبناء فى تنشئتهم وعقابهم.

٢) تأثير عقاب الطفل بالضرب على تنشئته النفسية.

٣) خطورة العقاب البدنى.

٤) طريقة عقاب الطفل بغير الضرب.

٥) ضرب الطفل فى الشهور الأولى.

أ - أسباب التجاء الوالدين لضرب الطفل فى هذا السن.

ب - دور الوالدين لتجنب ضرب الطفل فى سنواته الأولى.

وفى النهاية...

الفصل الخامس

الأسرة.. ومضار الضرب فى التنشئة النفسية للأبناء

المقدمة:

عندما يخطئ الأبناء فلابد لهم من ضبط وتوجيه.

والأسلوب الذى يستخدم فى هذا الضبط يختلف من أب إلى آخر بل من مجتمع إلى مجتمع.. وقد يكون هذا الأسلوب هو الأمثل من حيث اتجاه إلى إقامة علاقة طيبة بين الطفل وبينه، تقوم على فهم صحيح لما يجب إتباعه، وما ينبغى تجنبه وقد يكون هذا الأسلوب قائمًا على الكف المطلق مما يؤثر فى نفس الطفل وتكوينه ويعوق نموه.

اتجاهات الآباء المختلفة عندما يخطئ الطفل:

الآباء فى تعاملهم المستمر على أبنائهم فى حاجة إلى تفهم الطريقة السليمة التى ينبغى إتباعها عندما يخطئ الطفل.. وهل تقوم على العقاب الصارم، أو على التساهل المطلق أو بين هذا وذاك؟

(١) عوامل نفسية تشكل اتجاهات الآباء نحو الأبناء فى تنشئتهم وعقابهم:

١) بعض الوالدين يعجزون عن السيطرة على سلوك الصغار أو ضبط السلوك بأى وسيلة أخرى غير الضرب.. ومن المحتمل أنهم هم أنفسهم ضربوا حين كانوا أطفالاً فنشأوا على اعتقاد أن الضرب هو الأسلوب الوحيد لمنع الطفل على فعل ما يريد.

٢) بعض الآباء العلاقة بينهم ليست على ما يرام مثل هذه العلاقة تكون عادة مليئة بأسباب التوتر والضيق، ومن ثم يصبح عقاب الطفل بالضرب وسيلة للتنفيس عن بعض ما يعانون منه.

٣) بعض الآباء يفتقدون الرضا والإشباع والسعادة فى حياتهم، وقد يكون ذلك راجعًا إلى الفشل فى العمل أو العلاقات الاجتماعية أو الزوجية، أو قد يكون مرجعه إلى طموح لم يتحقق أو إلى مثل ذلك من الأسباب، فيلجأون إلى عقاب الطفل بالضرب.

٤) بعض الآباء يلجأون إلى تنشئة الطفل وعقابه بالضرب، لاعتقادهم أن هذا هو ما ينبغى عليهم لحسن تنشئته أو أنه هو الذى ينتظر منهم أى أنهم يضربون الطفل إرضاء للأقارب أو الأصدقاء أو الجيران وكسبًا لثنائهم من حيث أنهم يقومون بكل ما ينبغى عليهم لحسن تنشئته.

٥) بعض الآباء يلجأون إلى تنشئة أبنائهم بالضرب استعجالاً للنتائج، وذلك عن طريق إجبار الطفل على فعل ما يرغبه الكبار منه تحت تأثير الضرب أو التهديد به.

٦) بعض الآباء يلجأون إلى التنشئة لأبنائهم بالضرب نتيجة لحدة فى طباعهم هم أنفسهم أى أنهم يضربون الطفل لنزوات لا شأن لها بسلوك الطفل أو بمفاهيم التنشئة أو بأى توجيه تقتضيه مصلحة الصغير.

(٢) تأثير عقاب الطفل بالضرب على تنشئته ونفسيته:

استخدام الضرب كوسيلة للتنشئة أصبح وسيلة مدمرة لنفوس الأطفال وسلاحًا قاسيًا يحطم حياتهم ونفوسهم، ويهدم مستقبلهم، ويؤدى فى النهاية إلى الكراهية، والحقد، والرغبة فى الانتقام، ويعلمهم الكذب، والعدوانية.

ثم يؤدى فى النهاية مستقبلاً إلى التشرد أو الفشل الدراسى نتيجة كراهية المدرسة أو الهروب من المنزل أو المدرسة، أو الإصابة بالأمراض النفسية أو العقلية التى تؤدى فى النهاية إما إلى الوصول إلى مؤسسات الأحداث أو مستشفيات الأمراض العقلية أو مستقبلاً تؤدى إلى بهم إلى الجريمة والسجن نتيجة الحقد الذى نما فى نفوسهم كنتيجة للضرب والإهانة اللتين كانوا يلاقونها فى البيت أو المدرسة.

(٣) خطورة العقاب البدنى:

١) خطورة هذا النوع من العقاب أنه يتحول بمرور الوقت إلى عادة مثل التدخين، فتزداد شدته وتتكرر مراته على أقل إحداث التعديل المطلوب فى السلوك مما يؤدى إلى اضطراب الطفل نفسيًا.

لذلك:

ينبغى تجنب العقاب العنيف بالأطفال كلما أخطأوا لأن هذه الطريقة تقطع خيوط الحب بين الآباء والأبناء، وبالتالى سلامة التواصل والتفاهم فتفشل عملية التربية والتهذيب.

٢) بعض الآباء لا يستطيعون التحكم فى انفعالاتهم، وغضبهم مما يؤدى لإصابة الطفل بالأذى.

٣) وأحيانًا تبكى الأم أو يكتئب الأب ويغلب عليهما الإحساس بالذنب على أثر العقاب، حتى إذا حاولا إخفاء هذا الإحساس كى لا يتهما بالتهاون فى تربية أبنائهم.

٤) ومن جهة أخرى فإن العقاب البدنى كوسيلة من وسائل التربية الاجتماعية والسلوك الاجتماعى والأخلاقى، قد يتحول إلى عادة لا تفرق بين أنماط السلوك ومستوى العقاب.

فيعاقب الطفل على كل شىء أو على لا شىء، أو يعاقب بقسوة على سلوك لا يستدعى أكثر من مجرد تأنيب فالعقاب البدنى لا يمنع الطفل من ارتكاب الخطأ بقدر ما يجعله حريصًا على التفهم فى أخطائه، والتشبث بالكذب والإنكار حينما يكتشف أمره.

وهذا الأسلوب يتردى محاله إلى السلبية في الطفل، وفشل العقاب، وانعدام فعاليته كتعديل للسلوك أو إزالته.

(٤) طريقة عقاب الطفل بغير الضرب:

بعض الوالدين ينظرون إلى العقاب من أفق ضيق جداً.

فالعقاب فى نظرهم هو ضرب الطفل ولا شىء غير الضرب، ولكن للعقاب طرقًا أخرى غير الضرب، مثلاً إذا غضب أحد الوالدين على الطفل لسبب من الأسباب، وظل غاضبًا عليه نصف اليوم وامتنع عن التحدث إليه أو الإجابة عليه إذا حاول الحديث معه. فإنه يكون قد عاقب الصغير لأنه حرمه من السعادة طوال هذه المدة والحرمان من السعادة من أشق ألوان العقاب على نفوس الصغار. لذلك:

فعلى الوالدين ألا يقروا الطفل على اتباع سلوك معين عن طريق الضرب.

إن الهدف الرئيسى الذى ينبغى أن يضعه الوالدان الذين يستهدفان مصلحة أبنائهم حقا نصب أعينهم، هو أن لا يقروا الطفل على اتباع سلوك معين عن طريق العقاب، ولكن عليهم أن يساعدوه على أن يقرر لنفسه ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله، وأن يسلك طريقه وفقًا لذلك.

وهذه خطوة أخرى إلى الأمام واسمها تنظيم الذات واسمها عند الكبار السلوك بوحى الضمير والأطفال لهم ضمير أيضًا يبدأ صغيراً فى سن السنة والسنتين ثم يكبر نوعا بين الثالثة والخامسة، ثم يصبح قوة ذات أثر فى توجيه الطفل بعد السادسة.

بعض التوجيهات العامة عن العقاب:

١) العقاب البدنى بكل صوره لا ينجح فى تعديل السلوك وحتى لو تم كبته لفترة، فإنه غالبًا ما يتحول أو يتخذ له شكلاً مختلفا على المدى الطويل.

٢) النتائج الإيجابية للعقاب البدنى عادة أقل تأثيراً من نتائج أنواع العقاب الأخرى: كالحرمان من النقود، أو مشاهدة التليفزيون أو بعض امتيازات أخرى، وأقل فاعلية من نتائج الإقناع المتفهم.

٣) يجب أن تكون الغاية من العقاب هى تعديل السلوك دون تحقير الطفل، وإذلاله، أو إثارة الخوف فيه، وبحيث يدرك أن العقاب موجه نحو السلوك، وليس له كإنسان.

٤) العقاب البدنى المتكرر فى الطفل إما خصيلة الخضوع وانعدام الشخصية أو خصيلة التعدى على الغير أو على أخوته الصغار أو بتحطيم ممتلكاته وممتلكات الآخرين (اللعب.. وغير ذلك).

٥) يجب أن ينتهى الإحساس بالغضب بعد وقوع العقاب وأن يعامل الطفل بصورة طبيعية.

٦) من الخطأ المبالغ فيه معاقبة الطفل الصغير بإرساله للفراش أو الانعكاف فى غرفته فالطفل ينظر إلى حجرته كمكان أن يحصل فيه على الراحة والمتعة، ولا يجب أن يستخدم كسجن أو منفى يقضى فيه الطفل فترة العقاب.

(٥) ضرب الطفل فى الشهور الأولى:

قد يكون مثار للدهشة أن يلجأ الوالدان إلى ضرب الطفل وهو لا زال فى الشهور الأولى من حياته، ضربوه لأنه:

بكى جوعًا أو ألمًا، أو طلب الانتباه، أو ضربه لأنه أصر على شىء لم يحققه له الكبار، أو يلجأ الكبار إلى ضربه لأى سبب آخر.

ولست أرجو من ذلك من قبيل الشفقة على الطفل فى المقام الأول، ولكن أرجو لمصلحته ومصلحة الكبار معًا:

ولمصلحته: لأن أى نوع من أنواع العقاب مثل سن الثانية لن يكون له أثر توجيهى عليه أى أنه يخلو من المنفعة كليًا.

لمصلحتهم: لأن الكبار كثيراً ما يلومون أنفسهم ويندمون على اندفاعهم ويحاولون تعويض ما فعلوه بالإفراط فى التدليل للطفل.. بذلك يحاولن إصلاح خطأ بخطأ آخر ثم لأنهم دائما لا يكتشفون خطأهم إلا بعد فوات

الأوان. إنهم ما ظنوه أنهم حققوه بالضرب كان بوسعهم أن يحققوه بطرق غير الضرب، أكثر إيجابية منه وأبقى أثراً.

أ - أسباب التجاء الوالدين إلى ضرب الطفل في هذا السن:

إن الكثير من الوالدين مع الأسف يلجأون إلى هذا الأسلوب المدمر في التعامل مع الطفل وهو في الشهور الأولى من عمره وذلك:

١) لأنهم يجهلون المبادئ الأولية والأساسية في نمو الطفل، ويضيقون بما يصدر عنه فيسرعون إلى ضربه أو عقابه بصورة أو بأخرى كلما أتى الطفل ما لا يروقهم.

٢) لأنهم يضجرون بمطالب الطفل، ويعتبرون أن كل تصرف منه يخرجهم بعض الشيء عن الراحة التي ينعمون بها، واعتباره عبئا لا يطيقون احتماله فينفسون عن أنفسهم بضرب الطفل وعقابه.

وما أكثر ما سمعنا وشاهدنا من والدين أهانوا أطفالهم ولما يتجاوزوا العام الأول وضربوهم لأن الصغير رأى نظارة أبيه على المقعد أو المنضدة فقد إليها وأمسكها ووقعت منه فانكسر أحد حجارتها أو لأنه قلب منفضة سجائر بما فيها من أعقاب على السجادة.. إلخ.

ب - دور الوالدين لتجنب ضرب الطفل في سنواته الأولى:

على الوالدين أن يعرفوا معالم النمو لدى أطفالهم ومقتضيات هذا النمو حتى يسبقوهم إليها بالإجراءات الوافية.

١) فمثلاً يقومون بإبعاد (الفازات) أو أي شيء آخر يمكن أن يكسر من الطفل حتى لا يكسره بدلاً من أن يضربوه إذا كسره.

٢) يزودون الطفل باللعب التى تشغل فكره ونشاطه ولا تجعله يشعر بالحاجة إلى استخدام أدوات أو أوان لا يريده الكبار أن يستخدمها.

٣) يعطون الطفل كتبًا مصورة ملائمة لسنه بدلا من كتبهم التى يعتزون بها ويحرصون عليها ولا حصر لمثل هذه المناسبات فى حياة كل يوم، لأنها كلها مناسبات يحاول الطفل عن طريقها أن يتعلم وأن يتعرف على العالم حوله، وأن يكتشف ما خفى عنه.

فإذا منعه الكبار من ذلك فإنهم يسدون أمامه سبيلاً هامًا من سبل المعرفة.

وما أظن أن هناك من الوالدين من يقصدون بسلوكهم هذا أن يحرموا أبنائهم فرص التعلم، ولا من يصرون على هذا السلوك إذا آمنوا أنهم بالتمسك به يضرون أبنائهم ويعطلون نموهم، ولا يدفعونهم نحو السير على الطريق الصحيح فى الحياة.

وفى النهاية: فى وسع الوالدين إذا نهضوا بمهمة التنشئة للصغير بالروح السليمة، روح الزمالة، والصداقة، والمحبة، فسوف يبعث ذلك فيهم الحماس للقيام بخير ما عندهم وذلك لأن قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع ولكنها تضمر وتموت على القسوة والضرب.

***